

شاء ان يترك لذريته من بعده خير ميراث من الشرف يتمتعون به في حياتهم ويتركون لذرياتهم من بعدهم وبالجملة من شاء ان يكون رجلاً باكمل معاني الرجولية فيمد يده لمساعدة هذا المشروع (كلية البنات) فهو خير مشروع أخرج للناس وأفضل عمل يعمله الانسان لبني وطنه لانه أعظم بناء لتربية البنات في هذا الزمان وأسأل الله سبحانه وتعالى ان يوفق الذين يسمعون في هذا العمل الجليل الخطير جمعهم الله تحت سماء الجلال في كل حال
عمر لطفي المنفلوطي

غرائب الاتفاق

هناك على مقربة من اثينا عاصمة بلاد اليونان على شاطئ بحر الارخبيل منزل صغير حقير يقطنه شيخ كبير وولدان وفتاة وكان الشيخ واسمه يعقوب صالحاً تقياً ربى ولديه على التقوى والفضيلة ومحافة الله فشيئا محيين لبعضهما عاملين على نفع ابيهما مشتغلين مكدين ومطيعين لكل اوامره وارشاده ولم تكن الفتاة التي معهم ابنته بل ابنة اخيه توفي والداها وهي في الثامنة فكفل بها عمها ورباها حتى صارت اليوم في الرابعة عشر. فينما كانت الطبيعة تكسب وجوهاً جمالاً وجسمها صحة وقوامها اعتدالاً كان عمها يثقف عقلها بالعلوم النافعة المفيدة ويربها على الصلاح والفضيلة حتى صارت موضوع عزاء كبير لاهل هذا المنزل الحقير على وحدتهم وانفرادهم

عن العالم . فبينما كانت موضوع اعجاب الوالد وعطفه وحنانه كانت موضوع حب وكلف وسرور الولدين . وكان الاخيران يشتغلان مع ابيهما في الحقل ويفلحانه ويستثمرانه ويبيشان من كد ايديهما وثمره تعبهما وكانت ماري تبقى في المنزل لتديره حتى اذا انتهت من عملها لحقت بهم في الحقل وساعدتهم بقدر استطاعتها

وأصيب الشيخ يعقوب في ايامه الاخيرة بمرض عضال الزمه الفراش فلزمت ماري المنزل لتقطع خدمته وكثيراً ما كانت تجلس الى فراشه تقرأ له في الكتاب المقدس حتى يأخذه النوم فتقوم الى اعمالها المنزلية وفي غروب ذات يوم أخذ الشيخ ينتظر عودة اولاده من الحقل بفارغ الصبر كمن يكن وراءه كلمة يريد ان يكلفهم بها . واشتد عليه المرض في هذا اليوم وكبرت العلة واستعصى الداء فلما عادا ناداهما ومد يده لجورج فقبلها ثم الى ارنست فقبلها أيضاً . وأجاسهما على سريره الى يمينه وكانت ماري الى يساره وقال لهم :

لم يعد لي مطعم في الحياة يا بني وكأني أشعر ان المنية قربت وان الساعة دنت وماهي الا بضع ساعات امكثها بينكم ثم امضي بعدها مرتاح البال مطمئن الخاطر عالم انكم ستقومون بوصيتي وعلمتم بارادتي ذلك ان تحبوا بعضكم بعضاً . ولا تفرق شيئاً بينكم أبداً . بل كونوا سنداً وعونا لبعضكم لبعض . اوصيكم وهذه اكبر أماني . ان لا يتطوح بكم هوى النفس الى سكنى المدن فتركوا هذا الحقل الذي تعبتم في استثماره وتخصيبه ونموتم في ظل شجره وشربتم من لذيذ مائه . اعلموا فيه كأن لم يمت

والدكم وها أنا سأقيم بعد مماتي في طريق الحقل لا كون عليكم رقيباً فلا
تغفلوا ان تمروا على قبري كل يوم رتقروني السلام فينتعش ذلك الحدث
كلما مررتم به صباحاً ومساءً

ادفوني تحت شجرة الزيتون لتروني كل يوم في روحاتكم وغدواتكم.
واستراح قليلاً كأنه يفكر فيما يقول ثم استأنف الحديث فقال .

وأنت يا ارلست (ونظر الى ولده الاصغر) اقترب مني انت وماري
ابنة عمك لا بارككما قبل مماتي . كن لها يا بني نعم الزوج ولا تكدر عليها
صفو راحتها وعش معها بسلام

وانت يا ابنتي اوصيك به خيراً فابقى على محبته كما احببته من قبل
قال الشيخ يعقوب ذلك لانه كان يعرف ان ارلست يحب ابنة عمه
محبة شديدة جداً وكانت هي تحبه وتميل اليه وتعطف عليه اكثر من أخيه
الاكبر جورج

على ان الاخير كان يصفي لكلمات أليه كما يصفي المتهم لسمع
الحكم عليه بالاعدام لانه كان يحب ابنة عمه هو ايضاً

وعاد الشيخ يعقوب فاوصى جورج باخيه وابنة عمه خيراً واكد عليه
ان لا تزوج ماري بلوى ارلست وان يكون لهما نم العضد ونم الساعد
بعد مماته

على ان الاب كان حنوناً محباً لاولاده وكان الاولاد يبادلونه هذه
العاطفة بعاطفة البنوة الصادقة فابكاهم حديثه حتى علا شهيقهم . فصرفهم
من حوله بعد ان طيب خاطرهم وطأنهم

وحقق السيد نبوة الرجل عن قرب منيته فلم يطلع عليه فجر اليوم
التالي حتى وجدوه نائماً على فراشه يتسم ولكنة جثة بلا روح

دفن الآب يعقوب تحت شجرة الزيتون في طريق الحقل يمر عليه
الولدان صباح مساء عند ذهابهم الى الحقل وعودتهم منه
وبنى القبر على مرتفع تظله اوراق الزيتون وزرع الفضاء الذي حوله
بالزهور الجميلة ذات الروائح الذكية

وعاش الاثنان وابنة عمهما بهدوء وسلام لا يعكر صفو راحتهم شيء
ولم يحصل منهم شقاق او خصام لان الحب كان يعزي قلوبهم جميعاً
فبينما كان ارنست يحب ماري وماري تبادل ذلك الحب الطاهر كان
جورج يحبها هو أيضاً محبة تقرب من العبادة وينار عليها من أخيه ارنست
فتحول له نفسه الامارة بالسوء ان يقف في وجه أخيه ويختطفها من بين
يديه . ولكن كانت تغلبه على امره وتوقفه عند حده عاطفة أخرى قوية
جداً تقوم في نفسه مقام الغيره التي في قوادح بعد ان يسحقها سحقاً وتتركه
ضعيفاً مغلوباً مقهوراً وتحول الحقد الذي في صدره الى مدامع تبكي من
شدة تأثره . هذه العاطفة هي عاطفة الاخوة واحترام ارادة ابيه على ان
ارنست وماري قد وجدوا فرصاً اكثر ومجالاً اوسع لتبادل الحب بينهما
واعلانه بعد ان كانا يكتمانه وكثرت شكواهما وأخذت ماري تتردد الى
الحقل في ساعات النهار اكثر بكثير من الاول وذلك لترى ارنست
وتبادله كلمة حب واحدة

أما جورج فصار يتجنبهما وينفرد بنفسه كثيراً من شدة غيرته
فيجدان هما من وحدتهما وقتاً طويلاً فيظهران عواطفهما لبعضهما وكثيراً
ما كان يغلب عليهما الحب فيتبادلان القبلة . على ان الله كان شاهداً على
طهارة ذليلهما وتقاوة قلوبهما وعلو نفسيهما .

كان جورج ينفرد بنفسه منلواً مقتاضاً يترقبهما من بعيد ولكن
فؤاده كان كبيراً جداً يحتمل محبة لآخيه والغيرة منه في وقت واحد . وكان
قادراً على عواطفه فيحبسها ويكتسبها ولا يظهرها وان ضاق به صدره
ففي ذات يوم لحقت بهما ماري في الحقل قبيل الغروب وبعد ان
انتهيا من عملهما وعزما على الرجوع اعتذر جورج وطلب اليهما ان يسبقاه
وهو يلحق بهما

فاخذ ارنست يسير الهويناً وماري مستندة على ساعده اليمين يشكو
لها آلامه ويبيثها شوقه ويوصف لها محبته وهما آمنين لا يعرفان ما كمن لهما
من الشر

أما جورج فلم يكن في الحقل ولا تأخر عنهما بل كان يتبعهما من
بعد والغيرة تعمل في قلبه عمل النار في ناشف الخطب . يروم السلام ولكنه
غير قادر ان يحارب الشر

وفيا هو يفكر في ذلك اذ وثعت عينه على ارنست وهو ينحني على
ابنة عمه يقبلها من جبينها

فشار تآرد ولم يعد يتمالك نفسه أو يحتمل أكثر من ذلك فاستل
سكيناً كانت في وسطه وأخذ يمدو وراءها حتى لحق بهما وطمن خصمه

على ان سكينه اخطأت ارنست واصابت ماري البريئة التي لم تعرف لها ذنباً . فازداد همه وزادت هذه الغلظة عليه شقاوته وخاف ان ينتقم أخوه منه فولّى الأدبار يهيم على وجهه

ولم تصب السكين من ماري مقتلاً بل أصابت ذراعها وخاف ارنست ان يماود أخوه الطعنة فتصديه فلف ذراعه على وسط ماري وطار بها يجري وهي بين ذراعيه . وقته للوقت نفسه الى حقيقة حال أخيه وتحققت ظنونه وعرف انه هو المقصود بهذه الطعنة وفهم ان أخاه يجب ماري مع انه كان يرفعه على مزاحته عليها

ووصل ارنست وهو يمدو بماري عدواً الى شاطئ نهر ونظر وراءه فلم يجد جورج فسري عنه وهدأ روعه ففعل جرح ماري وضمده وجلس الى جانبها وأسندها الى صدره حتى ارتاحت وقدرت على استئناف المسير فرجعا افلين يسير بها الهويناء حتى وصلا الى قبر والده فدخلاه يصليان ويشكوان جورج الى أبيه

أما جورج لما عرف انه اخطأ مرماه واصاب ماري بطعته جرى هارباً وكان الطمئة قد اصابت فؤاده هو ولكن ما اسرع ان عادت اليه الندامة وشعر بهظيم ذنبه وحقيقة ما فعل

فتضع قلبه وخارت قواه واصطكت ركبته ولم يعد يقدر على الجري فوقف وأسند رأسه الى شجرة

وعند ذلك تذكر وصية ابيه فاهاجت فيه اشجانه وحولت الندامة الشر الذي كان في قلبه الى مدامع غزيرة تدفقت من عينيه مرة واحدة

ثم انطلق جرياً حتى وصل الى قبر أبيه واخذ يصلي وهو راكع
بندامة حقيقية وحرارة صادقة يكفر عن ذنبه بالدموع التي كان يسكبها .
وفيما هو كذلك اذ دخل عليه ارنست وماري مسندة على ذراعه فوقفا
مبهوتين لما رأيا علامات الندامة باذية عليه والدموع تتساقط من عينيه .
وارادا ان يصليان واسكن جورج تنبه لقدميهما وقام لوقته الى أخيه
يطلب العفو منه ولماري يطلب السماح منها فسمحا . أما هو فقال

ما أطيب قلبكما واسرع رضاكما . اما أنا فلم ائل الصفح من نفسي
بعد على ما جنت يداي . بل يجب ان اكفر عن سيئتي و
اصنع الي يا ارنست . هذه ماري بين يديك كن حريصاً عليها
حرصك على نفسك وعيشا بسلام بعيدين عن شري وغيرتي . لاني أحب
ماري واغار منك . لذلك سأترككما تهنتان ببعضكما أما انا فساذهب
الى الى الدير لا اكفر عما اتته يداي بما اقدمه من الصلاة
الى الله بقية أيام حياتي

وضعهما الى صدره ثم افلتهما وطار جرياً في الفلاة قاصداً الدير وكان
يجري بسرعة كأنه يخاف ان يمسكاه ولا يتركاه يذهب . وبكى ارنست
وماري لما لم يمد جورج تلك الليلة ولا في الايام التالية وشعرا بوحدتهما
بعده ولم يقدر على البقاء في الحقل وحدهما فحاولا جهدهما ان يحافظا على
وصية الآب يعقوب والكنهما لم يفلحا . وشعرت ماري بهزال في كل
جسمها كما اصبح ارنست مفكراً نهموماً حتى صارا يرهبان الحقل ويخافانه
وقد أمسى موحشاً مرهباً

فهبجرا الحقل وقصدا العاصمة (اثينا) واقاما بين اهلهما شهراً واحداً
 كانا يعدان فيه معدات الزفاف ليجنيا ثمرة حبهما الطاهر الصحيح .
 ولكن أنى للانسان ان يصفو له الدهر ولا تروعه الظروف او يسنيه
 السرور بملققة الصفاء بدير ان يجرعه معه من السم جرعة . كانت عين
 الدهر لهما بالمرصاد فلم ترض ان تراهما على قاب قوسين من السعادة التي
 كانا يؤملانها بل شاءت ان تفرق بينهما في القريب العاجل

ذلك ان قامت حرب سنة ١٨٩٧ بين الترك وبلاد اليونان وكان
 ارنست في جملة من تجند للدفاع عن بلاده ووطنه
 وظلت ماري في العاصمة تنتظر اخباره كل يوم بقلب يرتجف وفؤاد
 يتلهف ولكنها لم تسمع لا منه ولا عنه

على ان صاحب المنزل الذي كانت تقطنه كان شاباً وراها جميلة ساحرة
 فاضطهدها مدة طويلة حتى التزمت ان تترك منزله وتحتفي عن عينيه
 فلما انتهت الحرب لم تعثر ماري على ابن عمها لانه كان اصيب في
 الحرب ببعض رضوض ونقل بسببها الى احدى المستشفيات على انه لما
 نقه من مرضه ونادت اليه قواد اخذ يبحث عنها في كل المدينة فلم يعثر
 لها على اثر فاخذ يندبها كما اخذت هي تبكيه لما قطعت العشم من لقائه

مضى عام كامل من يوم وفاة الاب يعقوب فصحي ارنست من
 رقاده ذات يوم مذعوراً وخروج مبكراً الى الكنيسة لاقامة الصلاة تذكراً
 لمرور السنة على وفاته

في ذلك اليوم فكرت ماري في هذا الواجب نفسه وقصدت الكنيسة عينها لاقامة الصلاة تذكراً لوفاة عمها ولا غرابة فان اتفاق الخواطر يحدث لنا غرائب واتفاقات يكاد العقل ينكرها ولا يسلم بها لولا كثرة حدوثها على ان ارنست سبق ماري الى الكنيسة ولم يستقر في مكانه حتى دخلت هي وما أكثر دهشتها لما لم يجد في الكنيسة احداً من غير طائفة القسس سواها . ولذلك لم يتعذر عليهما معرفة بعضهما

فصاح ارنست قائلاً ماري ماري وصرخت هي ارنست ارنست وكان القسس كلهم بملابسهم السوداء وعلامة الكآبة والحزن بادية على وجوههم . فالفهم ونبه خاطرهم وجود ماري ورنست بينهم وفي هذه اللحظة ذاتها تحرك احد القسوس من مكانه واسرع قاصداً ارنست وماري وهويبيكي وعلى خديه اثر مدامع غزيرة فالفتت نظر ماري ورنست حركته هذه فنظرا الى القسس فلم يعرفاه ولكن قلبهما تأثر من مجرد مرآه

اما القسس فوقف امامهما واخذ ايديهما وهزها بشدة وقال - ألا تذكران اخا كما جورج

فنظرا اليه فاذا به اخوهما حقاً ولكن هذه المدة الصغيرة كانت كافية لان تغير شكاه كل هذا التغيير حتى تعذر عليهما معرفته . واراد ارنست ان ينحني على اخيه يقبله ولكن خرج المركز اوقفه عند حده ولوانه اجري دموعه وعقد الفرخ لسانه بلقاء اخيه

على ان السرور باللناء طفق يكيهما مدة طويلة حتى الفتوا نظر
 جميع من بالكنيسة ولم يجدوا مخلصاً من حرج مركزهم الا بالخروج منها
 وسأل القس جورج اخاه عن سبب حضوره اليوم الى الكنيسة
 وتعجباً جداً من هذه الظروف التي جمعتهما
 على ان الصلاة التي كانت تقام في الكنيسة كان اقامها القس جورج
 تذكراً لمضي السنة على وفاة ابيه فجمعتهم جميعاً هذه المناسبة

بعد شهر من ذلك الحادث كان القس جورج مهتماً اهتماماً زائداً
 بتزيين الكنيسة وبهزجتها كأنه يستعد لاقامة احتفال عظيم جداً وعند
 الساعة الرابعة من ذلك اليوم قدم الى الكنيسة عروسين هما ارذنت
 وماري نخرج القس جورج للقائهما من منتصف الطريق بين الحان
 القسوس وترايم التلاميذ وفي الساعة السادسة خرجا من الكنيسة وهما
 زوجين تستقبليهما السعادة ويحف بهما السرور
 اما جوزج فلم يقبل ان يترك الدير بعد ان كرس نفسه لخدمة الله
 السيدة ف . ع .